# تفسير سورة المائدة

## بأسلوب بسيط جدا

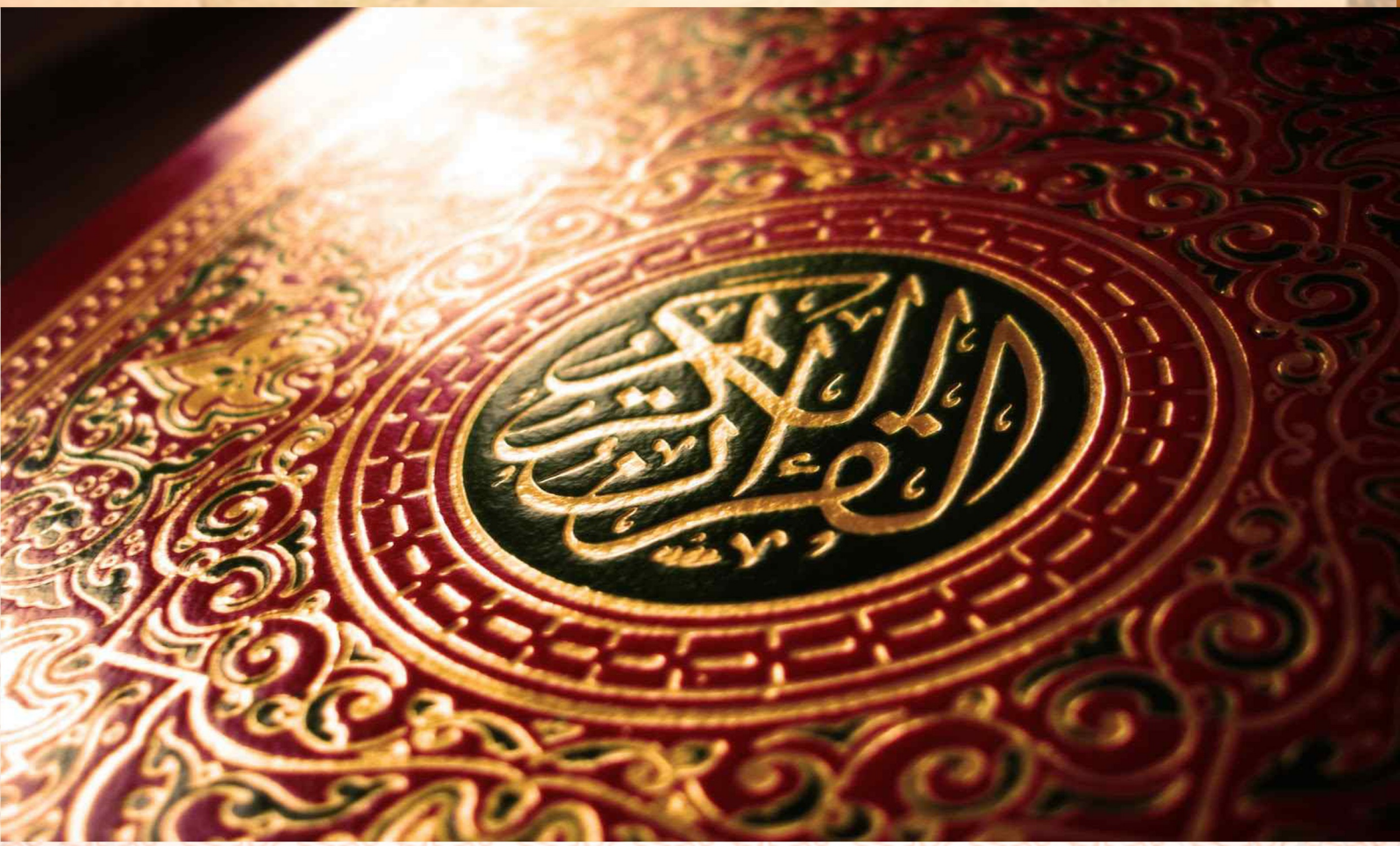

رامي حنفي محمود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

# سلسلة كيف نفهم القرآن؟ ١

## (تفسير سورة المائدة بأسلوب بسيط جداً)

## ١. الربع الأول من سورة المائدة

الآية ١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: يعني أوْفوا بالعهود التي أخذها الله عليكم (من الإيمان بشرائع الدين والانقياد لها)، وكذلك أَوْفُوا بِالْعُقُود التي تعاقدتم عليها فيما بينكم (من عقود البيع والشراء وغيرها)، ومِن هنا خرجتْ القاعدة التي تقول: (العقد شريعة المتعاقدين، بشرط ألاَّ يخالف ذلك العقد: كتاب الله، أو سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم) – فلا تنقضوا تلك العقود، ولا تتركوا واجباً، ولا ترتكبوا معصية، ولا تُحرِّموا حلالاً، ولا تستحلوا حراماً، فقد ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: يعني إلا ما بَيَّنه سبحانه لكم مِن تحريم المَيْتة والدم وغير ذلك، وهي المحرمات المذكورة في الآية الآتية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: يعني وكذلك حَرَّمَ اللهُ عليكم الصيد وأنتم مُحرِمون بِحَجٍّ أو عُمرة، فلا تستحلوه، وسَلِّموا الأمرَ لله تعالى فيما أحَلَّهُ وحَرَّمه، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: يعني فما أراده تعالى: حَكَمَ به حُكماً مُوافقا لِحكمته وعَدْله، مِثل أمْرِهِ لكم بالوفاء بالعقود (لِما في ذلك مِن حصول المصالح لكم، ودفع المَضارّ عنكم).

الآية ٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: أي لا تتعدَّوا حدوده ومعالم دينه، فلا تستحلوها بترْك واجب، ولا بفِعل مُحرَّم، ومن ذلك مناسك الحج والعمرة، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: يعني ولا تستحِلُّوا القتال في الأشهر الحُرُم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمُحَرَّم ورجب.

---

1 وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، ومن كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو التفسير.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: يعني ولا تستحِلُّوا حُرمة الهَدْي، وهو ما يُهدَى للبيت الحرام من بهيمة الأنعام، ليُذبَح فيه ويُوزَّع على الفقراء، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ والقلائد جمع قِلادة، وهي ضفائر مِن صوف أو وَبَر، كانوا يضعونها في رقاب الهَدي لتكون علامةً على أن الرجل يريد الحج، ولإظهار أن هذه البهيمة التي يَسُوقها هي هَدْيٌ فيُحترَم، وقد كان ذلك الفِعلُ إظهاراً لشعائر الله، فلا تستحلوا حُرمَته.

• أما ما يفعله البعض من تعليق بعض التمائم (كَحِدوة الحصان والكَفّ وغير ذلك)، فيُعلقها في بيته أو سيارته، اعتقاداً منه أنها تنفع أو تضر، أو أنها تجلب الحظ، (وكذلك الإشارة بالكف في وجه مَن يتوقع منه الحسد – اعتقاداً منه أن ذلك يدفع الحسد)، فكل هذا حرام لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الرُّقَى – (أي رقى السَحَرة التي لا يُفهَم معناها، أو الرُّقَى المشتملة على الشرك بالله تعالى) – والتمائم والتِوَلَة شِرك) (والحديث في صحيح الجامع برقم: ١٦٣٢) (والتِوَلَة هي نوع من السحر يُحَبِّب المرأة إلى زوجها).

– واعلم أن السبب في تحريم هذه التمائم هو تعلق القلب بغير الله تعالى، إذ لا يَملك النفع والضر إلا الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال تعالى – مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم – وهو خير الخلق – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف بمن دونه؟!، وفي هذا رَدٌّ على كل مَن يعتقد أن بعض الصالحين – أو الأولياء – يملكون لهم ضراً أو نفعاً أو يقربونهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: يعني ولا تَستَحِلُّوا قتال أو أذِيَّة قاصدي البيت الحرام الذين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي الذين يطلبون من فضل الله ما يُصلِحُ معاشهم (وذلك بالتجارة والمكاسب المباحة في الحج)، ﴿وَرِضْوَانًا﴾: أي ويطلبون رضوان ربهم عليهم (وذلك بأداء الحج والعمرة والصلاة في الحرم وغير ذلك)، فهؤلاء لا تتعرضوا لهم بسوء، ولا تهينوهم، بل أكرِموهم، (واعلم أنه يدخل في هذا الأمر: تأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله تعالى، وجَعْل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم ولا على أموالهم).

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: يعني وإذا حَلَلْتم من إحرامكم، فإنه يُباحُ لكم الصيد، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ﴾: يعني ولا يَحمِلَنَّكم بُغْض قوم – بسبب: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وذلك عندما

منعوكم من أداء العمرة (عام الحُدَيْبِيَة)، فلا يَحمِلَنَّكم بُغضُهم على ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم بغير ما أذِنَ الله لكم (وهو قتالهم إن قاتلوكم، وترْكهم إن تركوكم)، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ فيما بينكم ﴿عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: أي على فِعْل الخير وتقوى الله، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، (وعلى هذا فيجب على العبد أن يَكُفَّ نفسه عن إعانة غيره على أي معصيةٍ أو ظُلم)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: أي عقابه شديد لا يُطاق ولا يُحتمَل.

الآية ٣: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ وهو الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذبْح شرعي، ويُستثنَى من ذلك مَيْتة الجَراد والسمك، فإنهما حلال (كما ثبتَ ذلك في السُّنَّة)، ولَعَلَّ الحكمة من تحريم المَيْتة: هو احتقان الدم في جوفها ولحمها، مما يتسبب في إضرار مَن يأكلُ منها، ﴿وَالدَّمُ﴾: يعني وحُرِّمَ عليكم شُرب الدم، ويُستَثنى من الدم: (الكبد والطحال) فإنّ أكْلهما حلال، كما ثبت ذلك في السُّنَّة.

– واعلم أن المقصود بالدم المُحَرَّم هنا هو الدم المسفوح (أي السائل المُراق)، كما ذَكَر تعالى ذلك في آيةٍ أخرى فقال: (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا)، (وأما الدم غير المُراق، وهو الذي يختلط باللحم أو الذي يكون في المخ والعروق وما شابَه: فإنه لا شيءَ فيه).

﴿وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾: يعني وكذلك حُرِّمَ عليكم لحم الخنزير، فلا تغتروا بمَن يَستحلونه (افتراءً على الله)، بل هو مُحَرَّم مِن جُملة الخبائث، ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: يعني وكذلك حُرِّمَ عليكم كل ما ذُكِرَ عليه – عند الذبح – غيرُ اسمِ الله تعالى، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي التي حُبِسَ نَفَسُها حتى ماتت (كأن تموت غريقة، أو تُخنَق بحبل، سواء بقصد أو بدون قصد)، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ وهي التي ضُرِبَت بعصا أو حجر حتى ماتت، أو التي هُدِمَ عليها شيءٌ، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي سَقطت من مكان عالٍ، أو سَقطت في بئر فماتت، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ وهي التي ضَرَبَتْها أخرى بقرْنها فماتت، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: يعني وحَرَّم الله عليكم البهيمة التي أكلها السبع (كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك)، فإنها إذا ماتت – بسبب افتراس السبع لها – ثم أدركتم منها جزءاً لم يأكله السبع، فإن هذا الجزء لا يَحِلّ لكم أكْله.

• وأما قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: يعني واستثنى - سبحانه - من هذه المُحرَّمات: أن تدركوا ذبْح البهيمة (قبل موتها بأحد الأسباب المميتة، كالخنق والسقوط وغير ذلك)، فحينئذ يَحِلّ لكم أكْلها، بشرط أن تدركوا ذبْحها والروح مستقرة فيها.

• وأما إذا كانت البهيمة تغرق، ولم يتمكن من الوصول إلى رقبتها حتى يذبحها: فعليه أن يُسَمِّي الله تعالى، ثم يَطعنها – طعنة واحدة – في جسدها بسكِّين أو بشيءٍ حاد، بشرط أن تتسبب تلك الطعنة في أن يترف الدم منها، واعلم أن هذه حالة استثنائية في التذكية (للضرورة)، لأن البهيمة ستموت حَتماً بالغرق، وليس هناك إمكانية من الوصول إلى رقبتها، إذَنْ فالانتفاع بها – عن طريق التذكية - أوْلَى من أن تموت هباءً.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: يعني وحَرَّم الله عليكم الذبائح التي ذُبِحَت على الأصنام والأحجار المنصوبة (التي تمثل إلهاً أو غير ذلك مما يُعبَد من دون الله تعالى)، ومِثلها ما يُذبَح على قبور الأولياء والصالحين، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾: أي: وحَرَّم اللهُ عليكم الاستقسام بالأزلام، (ومعنى الاستقسام: طلب معرفة ما يُقسَم للخَلق ويُقدَّر)، والأزلام هي ثلاثة قِداح – أي: ثلاثة آنية - متساوية في الحجم، كانت تستعمَل في الجاهلية، مكتوب على أحدها "افعل" وعلى الثاني "لا تفعل" والثالث لا توجد عليه كتابة، فإذا هَمَّ أحدهم بأمرٍ ما: أدار تلك الآنية على جوانبها، ثم اختار أحدها، فإذا خرج المكتوب عليه "افعل": مَضَى في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه "لا تفعل": لم يَمضِ، وإن ظهر الثالث (الذي لا شيء عليه): أعاد الاختيار، حتى يخرج أحد القدَحَيْن فيعمل به، فحَرَّم اللهُ ذلك عليهم، وعَوَّضَهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ أي المُحرَّمات المذكورة – إذا ارتُكِبَت – فإنها ﴿فِسْقٌ﴾: يعني خروج عن أمر الله وطاعته إلى طاعة الشيطان.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: يعني الآن انقطع طمع الكفار من أن ترتدوا عن دينكم إلى الشِرك (وذلك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، وأظهرتُ دينكم)، واليوم المُشار إليه هو يوم عرفة، إذ أتَمَّ اللهُ دينه، ونصرَ عبده ورسوله، وانخذل أهلُ الشِرك انخذالاً بليغاً، بعد ما كانوا حريصين على رَدّ المؤمنين عن دينهم، فصاروا يخشون المؤمنين، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾: أي فلا تخشوا المشركين، واخشَوا الله الذي نصركم عليهم، ورَدَّ كَيدهم في نحورهم، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أي دِين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فالزموه، ولا تفارقوه.

• واعلم أن هذه الجملة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قد فضحَتْ كُلّ مَن يَدَّعي كذباً أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأمَرَهُ أن يفعل كذا وكذا، فإن لم يفعل، فسوف يحدث له كذا وكذا، فنقول له: (اتقِ الله ولا تفتري الكذب، فإن الله تعالى قد أخبر أن الدِين قد كَمُل، ولن يُضافَ إليه شيءٌ آخر).

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾: يعني فمن ألجَأتْهُ الضرورة – وهو في مجاعة شديدة – إلى أكْل شيءٍ من المُحرّمات المذكورة في الآية، وكانَ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: أي غير متعمد لارتكاب إثم، وغيرَ طالب للمُحَرّم (للذّةٍ أو غير ذلك)، ولا مُتجاوز - في أكلِهِ – ما يَسُدّ حاجته ويرفع اضطراره: فله تناوله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية ٤: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: يعني يسألك أصحابك: ماذا أُحِلَّ لهم أَكْلُه؟ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: يعني الحلال الطيب من الطعام والشراب (وهو كل ما لم يُذكَر تحريمه)، ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾: يعني وكذلك أُحِلَّ لكم الصيدَ الذي تصطاده لكم الحيوانات (ذوات المخالب والأنياب) التي دَرَّبتموها على الصيد (كالكلاب والفهود والصقور ونحو ذلك مما يُعَلَّم)، بشرط أن تكونوا قد أرسلتموها للصيد، أما إذا اصطادته بنفسها – دونَ إرسالكم لها – فلا تأكلوها، (واعلم أن المُكَلِّب: هو مُعَلِّم الكلاب، ومُدَرِّبها على الصيد، ويُقال للصائد: مُكَلِّب، وعلى هذا فإنَّ قوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يكون بمعنى: صائدين).

– وهذه الحيوانات ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ طلبَ الصيد ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ إذ هو سبحانه الذي سَخَّرها للإنسان ابتداءً، وهو الذي عَلَّمَه ما لم يكن يعلم، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني فكلوا مما أمْسَكَتْ لكم هذه الحيوانات – من الصيد – فهو حلالٌ طيب، (حتى وإن أتى بالصيد ميتاً بسبب الصراع معه، أما إذا أتى به حياً: فمِن كمال التذكية أن تذبحوه)، ولكنْ بشرط: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: أي واذكروا اسم الله عند إرسال هذه الحيوانات للصيد، كأنْ يقول مَثلاً: (بسم الله هاته)، وكذلك إذا صاد الإنسان صيداً بسلاحٍ ما: فعليه أن يذكر اسم الله عليه قبل إطلاق السلاح عليه (حتى وإن مات بسبب أثر السلاح قبل أن يذبحه، فهو حلالٌ طيب)، وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ففيه وعيدٌ لمن لم يتق الله في أكْل ما حُرِّمَ أكْلُهُ من المَيْتة وأنواعها، ومِن أكْل صيدٍ صادَه حيوان غير مُدَرَّب من الجوارح، فليتق عقوبة الله في ذلك فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

الآية ٥: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: يعني: وَفِي هذا اليوم الذي أكمل الله تعالى لكم فيه الدين: أحَلّ لكم ما سألتم عنه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ (وهو جميع الطيبات من الطعام والشراب)، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾: يعني وذبائحُ اليهود والنصارى حلالٌ لكم (إن ذبحوها حَسبَ شرعهم)، وذبائحكم حلالٌ لهم، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: يعني وأَحَلَّ لكم نكاح الحرائر العفيفات من المؤمنات، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي وكذلك أَحَلَّ لكم نكاحَ الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى، هذا إذا أمِنتم من التأثر بدينهنّ، وكذلك

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ﴾: يعني إذا أعطيتموهُنَّ مُهورهن، وكنتم طالبين بهذا الزواج التعفف عن الحرام، وكنتم ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: يعني غير مرتكبين للزنى جَهراً، ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: يعني ولا مُتخِذي عشيقات سراً، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: يعني ومن يجحد شرائع الإيمان: ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الآية ٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم على غير طهارة: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ - والمِرْفَق: هو المِفْصَل الذي بين الذراع والعَضُد، وهو ما يُطلِق عليه بعض الناس لفظ: (الكُوع)، والصحيح أنَّ اسمه المِرفَق - ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: يعني وامسحوا رؤوسكم، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: أي واغسلوا أرجلكم مع الكعبين (والكعبان: هم العظمان البارزان عند مُلتقى الساق بكف القدم)، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: يعني وإن أصابتكم جَنابة: فتطهروا منها بالاغتسال قبل الصلاة، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾: يعني أو قضى أحدكم حاجته، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: يعني أو جامَعتم زوجاتكم ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ للوضوء أو الغُسل: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: أي فاضربوا بأيديكم وَجْهَ الأرض الطاهرة ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ وذلك بأن يَنوي العبدُ التيَمُمَ بقلبه ويُسمِّي، ثم يَضرب الترابَ بيدَيْه ضربة واحدة فقط، ثم يَنفخ في يدَيْه، ثم يَمسَح بِهما وجهَهُ وكفَّيه فقط، وهذه الصفة سواء كان التيَمُم نيابةً عن الوضوء، أو كان نيابةً عن الغُسل.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: يعني ما يريد الله – في أمر الطهارة – أن يُضَيِّق عليكم، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: يعني بل أباح التيمم توْسِعَةً عليكم، ورحمةً بكم، إذ جَعَله بديلاً للماء في الطهارة، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: يعني فكانت رخصة التيمُّم من تمام النعم التي تستوجب شُكْر المُنعِم بطاعته فيما أمر وفيما نهى.

• واعلم أنه يَجُوز التيَمُم أيضاً لَمن بِهِ جُرْح أو مرض (مثل مرض الجُدَري)، وَوَجَدَ مَشقَّة من الوضوء (أو الغُسل) بالماء (وذلك بزيادة المرض، أو تأخُّر الشِّفاء)، (وكذلك إذا كان الماء شديدَ البُرودة وعَجَزَ عن تسخينه، وغلبَ على ظَنِه حُصُول ضرَر باستعماله وهو بارد)، (وكذلك مَن كان الماء قريبًا منه إلاَّ أنه يَخاف ضَيَاعَ متاعه، أو فوْتَ رفقتِه، أو حالَ بينه وبَيْن الماء عَدُوٌّ ظالِم، أو نار، أو أيُّ خوف كان في القَصْد إليه مَشَقَّة، فهذا يتيمم أيضاً لأنه يَصعُب عليه الوصول إلى الماء)، (وكذلك لو كان الماء بِمَجْمَع الفُسَّاق وتخافُ المرأةُ على نفسها منهم)، (وكذلك مَن كان مريضًا لا يقدر على الحركة ولا يجد مَن يُناولُهُ

الماء)، فكل هؤلاء يَجُوز لهم التيَمُم، (واعلم أيضاً أنه يَنقُض التيَمُمَ جميعُ نواقض الوضوء، ويُزَاد عليها وجود الماء لَمن فقدَهُ، أو قدَرَ على استعماله لَمن عَجَزَ عنه).

الآية ٧: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ من التيسير فيما شَرَعه لكم، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: يعني واذكروا عهده الذي أخذه سبحانه عليكم، والمراد به هنا: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، إذ بها وجب الالتزام بجميع التكاليف الشرعية، وأما قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ فقد قالها الصحابة – بلسان الحال – عندما بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وقد قالها كل مسلم – بلسان الحال أيضاً – لَمَّا شَهِدَ لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الآية ٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾: يعني قوموا بحق الله تعالى (مُخلِصين له، طالبينَ ثوابَه)، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: يعني وكونوا شُهداء بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: يعني ولا يَحمِلَنَّكم بُغْضُ قومٍ ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بينهم في الحُكم، بل ﴿اعْدِلُوا﴾ بين الأعداء والأحباب على درجةٍ سواء، فذلك العدل ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: يعني أقرب لخشية الله تعالى، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية ٩، والآية ١٠: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ تعالى – وَوَعْدُهُ الحق – بأنَّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في الجنة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الآية ١١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مِن الأمن، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم، واذكروا ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: أي أرادوا أن يبطشوا بكم، فصرفهم الله عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوا.

• ولَمَّا أمرهم تعالى بذِكر النعمة: أمرهم بالخوف من المُنعِم أن يُبدل نعمته بنقمةٍ إن عَصَوه، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا أن تخالفوا أمْرَهُ فيُسلط عليكم أعداءكم، وغير ذلك من أنواع عقوباته، ثم أمرهم سبحانه بما يستعينون به على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي فتوكلوا – أيها المؤمنون – عليه وحده في أموركم الدينية والدنيوية، وثِقوا بعَونه ونَصره.

**********

## ٢. الربع الثاني من سورة المائدة

الآية ١٢: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي أخذ عليهم العهد المؤكَّد بأن يُخلِصوا العبادة له وحده، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: يعني وأمَرَ اللهُ موسى عليه السلام أن يجعل عليهم اثنَي عشر عريفاً (رئيساً) بعدد فروعهم (حيث كان بنو إسرائيل اثني عشر قبيلة)، وذلك ليأخذوا عليهم العهد بالسمع والطاعة (لله ولرسوله ولكتابه)، ويَحُثوهم على القيام بما أُمِرُوا به، (واعلم أن النقيب هو مَن يُنَقِب عن أمور القوم ومصالحهم ليرعاها لهم، فيبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم)، ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ لبني إسرائيل: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بحفظي ونصري وإعانتي ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ (وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: أي وصدَّقتم رسلي فيما أخبروكم به، ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: يعني ونصرتم هؤلاء الرسل، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: يعني وأنفقتم في سبيلي، طالبينَ ثوابي: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: يعني فقد خرج عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

الآية ١٣: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: يعني فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكَّدة: طردناهم من رحمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: أي غليظة، فلا يَنْفُذ إليها خير، ولا تَلينُ أمام المعجزات الباهرات، بل جَعَلتهم يتجرأون على حدود الله تعالى، فكانوا ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: يعني يبدلون كلام الله (الذي أنزله على موسى، وهو التوراة)، ويفسرونه على غير وجهه الصحيح، وذلك بما يتناسب مع أهوائهم ومقاصدهم السيئة، فإن عجَزوا عن التحريف: تركوا ما لا يتفق مع أهوائهم، فلم يُظهروه للناس، ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾: يعني وتركوا نصيبًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلم يعملوا به، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ - أيها الرسول -﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾: يعني تجد من اليهود خيانةً وغدرًا، فهُم على مِنهاج أسلافهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: يعني فاعفُ عن سوء معاملتهم لك، ﴿وَاصْفَحْ﴾ عنهم، فلا تتعرض لهم بمكروه، وبذلك تكون قد أحسنتَ إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يُحسِنون إلى مَن أساء إليهم (بالعفو والصفح عنهم).

الآية ١٤: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾: يعني وكذلك الذين ادَّعَوا أنهم أتباع المسيح عيسى – وهم ليسوا كذلك – أخذنا عليهم العهد المؤكد الذي أخذناه على بني إسرائيل: بأن يَتبعوا رسولهم وينصروه، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلم يعملوا به، وبدَّلوا دينهم كما صنع اليهود

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: يعني فألقينا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: أي فجعلناهم يُعادي بعضهم بعضًا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يوم القيامة، وسيعاقبهم على صَنيعهم.

الآية ١٥: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ عن الناس مما في التوراة والإنجيل، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾: يعني وهناك أشياء – مما كنتم تخفونها من الكتاب – لا يَذكر عنها شيئاً، ولا يلومكم على إخفاءها، لأن الحكمة تتطلب ألاَّ يفعل ذلك)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو القرآن الكريم.

• واعلم أن حرف الواو الذي بين كلمة: (نُورٌ)، وبين كلمة: (كِتَابٌ مُبِينٌ)، تسمى (عطف بيان)، يعني عطف توضيح، لتبين أن هذا النور هو الكتاب المبين الواضح، وليس معناها أن (النور)، شيءٌ، و (الْكِتَابِ المبين) شيءٌ آخر، فكأنّ المعنى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ، وهو هذا الكتاب المبين).

الآية ١٦: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾: يعني يهدي اللهُ بهذا القرآن مَن اتَّبَع رضا ربه تعالى (ففعل ما يُرضيه، واجتنبَ ما يُغضِبه)، ليوصلهم إلى طريق السلامة والسعادة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾: أي بإذن ربهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يعني ويوفقهم إلى الثبات على دِينه القويم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام.

الآية ١٧: ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ النصارى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول-: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: يعني: لو كان المسيح إلهًا كما تدَّعون، لقَدرَ أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أُمِّه ومَن في الأرض جميعًا، وقد ماتت أم عيسى فلم يَدفع عنها الموت، فكذلك لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه، فهذا دليلٌ على أنه بشر كسائر بني آدم، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: وجميع الموجودات في السماوات والأرض ملكٌ لله تعالى وحده ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية ١٨: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم – أيها الرسول- : ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾؟ أي: فلِمَ عَذّب أسلافكم بذنوبهم، فمَسَخهم قِردةً وخنازير وغير ذلك مما هو ثابتٌ في كتبكم وفي تاريخكم؟ فلو كنتم أحبابه ما عَذبكم، فأحبابُ الله تعالى حقاً هم أهل طاعته، وقل لهم أيضاً: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾: يعني بل أنتم خلقٌ مثلُ سائر بني آدم، تجري عليكم أحكام العدل والفضل، فنسبتكم إليه تعالى نسبة مخلوق إلى خالق، وعبدٌ إلى مالك، فمَن آمَنَ منكم وعمل صالحا: غفرَ له وأكرمه، ومَن كفر منكم وعمل سُوءا: عَذبه وأهانه، كما هي سُنَّته في سائر عباده، إذ هو سبحانه ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ من عباده إذا أتوا بأسباب المغفرة، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده إذا أتوا بأسباب العذاب، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، فأيُّ شيءٍ خَصَّكم بهذه الفضيلة، وأنتم مِن جُملة مملوكات الله تعالى الذين يرجعون إليه في الدار الآخرة، فيجازيهم بأعمالهم؟

الآية ١٩: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الحق والهدى ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾: يعني بعد مُدَّة من الزمن بين إرساله وإرسال عيسى ابن مريم؛ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾: يعني لِئلاَّ تقولوا: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فإنه لا عُذرَ لكم الآن بعد إرساله إليكم، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ من الله ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو سبحانه قديرٌ على عقاب العاصي، وعلى إثابة المطيع، وعلى مغفرة ذنوب التائب، قال تعالى في الحديث القدسي: (مَن عَلِمَ أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب: غفرتُ له ولا أبالي، ما لم يُشرك بي شيئاً) (والحديث في صحيح الجامع برقم: ٤٣٣٠).

• ولذلك ينبغي للعبد المؤمن كلما تذكر هذه الجملة: (والله على كل شيءٍ قدير)، أن يتذكر أنه سبحانه قادرٌ أن يغفر له يوم يقرره بذنوبه، وقادرٌ أن يثبته في القبر عند سؤال الملكين، فيتقلب قلبه حينئذٍ بين الخوف من ذنوبه، وبين الرجاء في قدرة الله تعالى على المغفرة.

الآية ٢٠: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ تَملِكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: يعني وقد منحكم مِن نعمه صُنوفًا لم يَمنحها أحدًا من عالَمي زمانكم، مِثل المَنّ والسلوى وغير ذلك.

الآية ٢١: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: أي الأرض المُطهَّرة، (وهي " بيت المَقدس " وما حولها)، فهذه الأرض هي ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي التي فرض الله عليكم أن تدخلوها وتقاتلوا مَن فيها من الكفار، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: يعني ولا ترجعوا عن قتالهم، فتخسروا خَيرَي الدنيا الآخرة.

الآية ٢٢: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: أي أشداء أقوياء، لا طاقة لنا بحربهم، ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: يعني وإنَّا لن نستطيع دخولها وهم فيها، ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

الآية ٢٣: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: يعني يخشون الله تعالى، وقد ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بطاعته وطاعة نبيِّه، فقالا لِبَني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: أي ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم، أخْذًا بالأسباب، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية ٢٤: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولن نقاتلهم، وهذا إصرارٌ منهم على مخالفة موسى عليه السلام.

الآية ٢٥: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: يعني لا أقدر إلا على نفسي وأخي، ﴿فَافْرُقْ﴾: أي فاحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

الآية ٢٦: ﴿قَالَ﴾ الله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدَّسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ حائرين ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي فلا تأسف يا موسى على القوم الخارجين عن طاعتي.

**********

## ٣. الربع الثالث من سورة المائدة

الآية ٢٧، والآية ٢٨، والآية ٢٩: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾: أي واقصص – أيها الرسول – على اليهود الذين هَمُّوا بقتلِك وقتل أصحابك خَبَر ابنَيْ آدم (قابيل وهابيل)، وهو خبرٌ حقٌ، ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذي هَمُّوا به، ولإظهار موقفك الشريف منهم حيث عفوتَ عنهم، فلم تقتلهم بعد أن تمكَّنتَ منهم، وكنتَ معهم كخير ابنَي آدم (وهو هابيل المقتول ظلماً) ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وهو ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: أي فتقبَّل الله قُربان هابيل؛ لأنه كان تقيًّا، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾: يعني ولم يتقبَّل قُربان قابيل؛ لأنه لم يكن تقيًّا، فحسد قابيلُ أخاه، و ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ثم قال هابيلُ واعظًا أخاه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وإن رَضِيتَ قتلي فـ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾: يعني أريد أن ترجع إلى الله يوم القيامة حاملاً إثمَ قتْلِكَ لي، وإثمَك الذي عليك قبل ذلك، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية ٣٠، والآية ٣١: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾: يعني فزيَّنت لقابيلَ نفسُه أن يقتل أخاه، وشجَّعَتْهُ على ذلك ﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، فلما قتل قابيلُ أخاه لم يَعرف ماذا يصنع بجسده ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي يَحفر حفرةً في الأرض ليَدفن فيها غرابًا ميِّتًا؛ وذلك ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾: يعني لِيَدُلّ قابيلَ كيف يَدفن جُثمان أخيه، فـ ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾: أي بَدَن أخي، لأنّ بدن الميت عورة، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حَمْله على عاتقه طوال هذه المُدَّة، وعدم دفنه.

• واعلم أن بعض الناس يتشاءمون إذا سمعوا صوت الغراب أو صوت البُومة أو غير ذلك، فهذا لا أصلَ له في الإسلام، بل هو مَنهيٌ عنه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الطِّيَرَةُ شِرْكٌ – (والمقصود بالطيرة: التشاؤم) –، وَمَا مِنَّا إِلاَّ – (يعني وما منا مِن أحد إلا وقد يقع في قلبه شيءٌ من التشاؤم) – ولكنّ الله يُذهِبُهُ بالتوكل) (انظر السلسلة الصحيحة ١/ ٧٩١).

والمعنى: أن الله تعالى يُذهِب ذلك من القلب بالتوكل عليه وتفويض الأمر إليه، والتعلق بمُسبب الأسباب وحده (الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، والذي خَلَقَ كل شيءٍ بِقَدَر).

الآية ٣٢: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾: أي من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها مِن مفاسد عظيمة: ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي شَرَعنا لبني إسرائيل – لكثرة ما شاعَ بينهم من القتل (فقد قتلوا الأنبياء والدُعاة)

– فأوحينا إليهم ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: يعني بغير سبب (مِن قِصاص أو حَدّ)، ﴿أَوْ﴾ قتلها بغير ﴿فَسَادٍ﴾ قامت به ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ (كَسَلب الأموال وقتل الأبرياء، وغير ذلك)، فإذا قتَلَها ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: يعني يُعَذَّب عذاب مَن قتل الناس جميعاً، لأنه بِتَجَرُّئِهِ على قتل النفس التي لم تستحق القتل: عُلِمَ أنه لا فرْقَ عنده بين هذا المقتول وبين غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: يعني ومَن امتنع عن قَتْل نفسٍ حرَّمها الله – مع قدرته على قتلها، ومع تزيين نفسه له بذلك – وإنما مَنَعَه خوفه من الله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأن الحفاظ على حُرمة إنسان واحد يعادل الحفاظ على حُرمات الناس كلهم، ولأنَّ ما معه من الخوف يمنعه مِن قتل مَن لا يستحق القتل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي ولقد جاءت رسلُنا إلى بني إسرائيل بالحُجج والدلائل التي لا يَبقى بعدها حُجة لأحدٍ على ارتكاب ما حرَّمه الله، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد مجيء الرسل إليهم: ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: يعني متجاوزون لحدود الله تعالى (بارتكاب مَحارمه، وترْك أوامره)، ساعينَ في الأرض فساداً.

الآية ٣٣: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يعني يبارزون الله تعالى بالعداوة، ويعتدون على أحكامه، وعلى أحكام رسوله، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقتل الأنفس، وسلب الأموال، وغير ذلك، فهؤلاء جزاؤهم: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ ويكون تنفيذ هذا الحد من خلال ولي الأمر (حاكم البلد)، ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ (ويكونُ الصَلب بأن يُشَدَّ الجاني على خشبة، ثم يقتل)، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ وذلك بأن تُقْطَع يدُه اليمنى ورجله اليسرى، فإن لم يَتُبْ: تُقطعْ يدُه اليسرى ورجلُه اليمنى، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعني أو يُنفَوا إلى بلدٍ غير بلدهم، ويُحبَسوا في سجن ذلك البلد حتى تَظهر توبتُهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء الذي أعدَّه الله للمحاربين لله ورسوله إنما يكونُ ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾: أي ذلّ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إن لم يتوبوا.

الآية ٣٤: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: يعني: لكنْ مَن أتى مِن المحاربين لله ورسوله طائعًا نادمًا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ فإنه يسقط عنه ما فعله في حق الله (أي يسقط عنه ذلك الحد في الدنيا، فلا تقيموه عليه)، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لعباده التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية ٣٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: أي وتَقَرَّبوا إليه بطاعته والعمل بما يُرضيه، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: يعني لكي تفوزوا بجناته.

الآية ٣٦، والآية ٣٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ يعني لو أنهم مَلَكُوا جميع ما في الأرض، ومَلَكُوا ضِعْفَهُ معه، ثم قدَّموهُ لله في الآخرة ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ - لِمَا يُلاقونه مِن عذابها وشِدة حَرِّهَا - ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

الآية ٣٨: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾ - يا وُلاة الأمر - ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ بما يَقتضيه الشرع، وذلك ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾: أي جزاءً لهما على أَخْذهما أموال الناس بغير حق، و ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾: أي وعقوبةً يَمنع الله بها غيرهما أن يصنع مِثل صنيعهما، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الآية ٣٩: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: يعني فمَن تاب مِن بعد سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ في كل أعماله، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾: أي يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

• فإذا كانت التوبة نصوحاً مستوفية لشروطها: (الإقلاع عن المعصية، والندم على مافات، وأن يَصدُق في العزم - والإصرار - على عدم العودة إلى المعصية، وأن يَرد الحقوق لأصحابها، أو يطلب مسامحتهم ويدعو لهم، أو يتصدق بِنِيَّة أن يصل الثواب إليهم، هذا إذا لم يستطع هو الوصول إليهم)، فإن الله يقبلها، ويمحو بها الذنب.

• ولكنَّ الشأنَ كله في تحقيق التوبة النصوح، والإتيان بها على وجهها، فهذا هو الذي ينبغي أن يُقلِقَ العبد ويجعله خائفاً مِن أن يُحبَطَ عمله وألاَّ تُقبَلَ توبته فيَهلك، ولهذا كان اهتمام التوبة والخوف من عدم قبولها من علامات التوبة النصوح، (فالتائب الصادق لا يزال خائفاً وَجِلاً، يبذل ما استطاع مِن جهدٍ في تحقيق التوبة النصوح، حتى يَقبلها الله تعالى منه)، قال ابن القيم رحمه الله (ما مُختصَرُه):

- وأما اهتمام التوبة فلأنها حقٌّ عليه، لا يتيقن أنه أدَّى هذا الحق على الوجه المطلوب منه، الذي ينبغي له أن يؤديه عليه، فيخاف أنه ما وَفَّاها حقها، وأنها لم تُقبَل منه، وأنه لم يَبذل جهده في صحتها، وأنها لم تكن خوفاً من الله تعالى، وإنما كانت لسببٍ آخر.

• ومِن اهتمام التوبة أيضا: ضعف العزيمة، والتفات القلب إلى الذنب، وتَذكُّره مِن حينٍ إلى آخر، ومنها: طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أُعطِيَ منشوراً بالأمان، ومنها: جمود العين عن البكاء، واستمرار الغفلة، وألاَّ يَستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.

• فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات، منها: أن يكون العبد بعد التوبة خيراً مما كان قبلها، ومنها: تقطُّع قلبه ندماً وخوفاً، فلا يزال الندم والخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين، حتى يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (فهناك يزول الخوف).

• ومِن مُوجِبات التوبة الصحيحة أيضا: كَسرة خاصة تحصل للقلب، تُلقِيهِ بين يدي ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً، كحال عبدٍ هارب مِن سيده، فأُخِذَ فأُحضِرَ بين يديه، ولم يجد مَن يُنجيه مِن سَطوَتِه، ولم يجد منه مَفراً ولا عنه غِناء، وعَلِمَ أنّ حياته وسعادته وفلاحه ونجاحه في رضاه عنه، وقد عَلِمَ بإحاطة سيده بتفاصيل جناياته، هذا مع حبه لسيده، وشدة حاجته إليه، وعِلمه بضعفِهِ وعَجْزه وقوة سيده، وذُلِّه وَعِزّ سيده، فيجتمع من هذه الأحوال ذلٌ وخضوع، ما أنفعه للعبد، وما أقرَبَهُ به من سيده!

• فوالله ما أحلى قوله في هذه الحالة: أسألك بعزك وذلي إلاَّ رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيدٌ سواك، لا مَلجأ ولا مَنجَى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَن خضعتْ لك رقبته، ورَغِمَ لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلَّ لك قلبه).

الآية ٤٠: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ – أيها الرسول – ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لا يُشاركه في حُكْمِهِ أحد، إذ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيَقطع يد السارق والسارقة، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إذا تاب العبد من السرقة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

**********

## ٤. الربع الرابع من سورة المائدة

الآية ٤١: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي لا تحزن بسبب الذين يسارعون في جحود نُبوَّتك ﴿مِنَ﴾ المنافقين ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ فإني ناصرُكَ عليهم، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: يعني ولا يَحزُنك أيضاً تسرُّع اليهود إلى إنكار نبوتك، فإنهم قومٌ ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: أي يستمعون للكذب، ويَقبلون ما يَفترِيهِ أحبارُهم، ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: يعني ويَقبلون كلامَ قومٍ آخرين لا يحضرون مجلسك، وهؤلاء الآخرون ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: أي يُبدِّلون كلام الله مِن بعد ما عَقَلوه، و ﴿يَقُولُونَ﴾ لليهود الذين يحضرون مجلسك: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾: يعني إن جاءكم مِن محمد ما يوافق الذي بدَّلناه وحرَّفناه من أحكام التوراة فاعملوا به، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾: يعني وإن جاءكم منه ما يُخالفه فاحذروا أن تقبلوه أو تعملوا به، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: يعني ومَن يَشأ اللهُ إضلاله، فلن تستطيع دَفْعَ ذلك عنه، ولن تقدر على هدايته، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المنافقون واليهود هم ﴿الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من دَنَس الكفر، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: أي ذلٌّ وفضيحة، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية ٤٢: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾: يعني: وهؤلاء اليهود يجمعون بين الاستماع إلى الكذب وقبوله وبين أكْل الحرام، ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ يتحاكمون إليك ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: يعني فاقضِ بينهم، أو اتركهم، ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ﴾ يقدروا على أن ﴿يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: أي بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

الآية ٤٣: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ﴾: يعني: إنَّ صنيع هؤلاء اليهود عجيب، فهم يَحتكمون إليك – أيها الرسول – وهم لا يؤمنون بك ولا بكتابك، مع أن التوراة التي يؤمنون بها ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ثم يتولَّون مِن بعد حُكمك إذا لم يُرضِهم، فجمعوا بذلك بين الكفر بشرعهم، وبين الإعراض عن حُكمك، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية ٤٤: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾: يعني فيها إرشاد من الضلالة، ونورٌ مُبيِّن لأحكام الحلال والحرام، مُخرِجٌ من ظلمات الجهل، ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ يعني: وإنَّ النبيِّين – الذين انقادوا لحكم الله تعالى – قد حكموا بالتوراة ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾: أي قد حكموا بها بين اليهود، ولم يَخرجوا عن حُكمها ولم يُحرِّفوها، ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: يعني وكذلك قد حكم بها عُبَّاد اليهود وعلماؤهم (الذين يُربُّون الناس بشرع الله)، وذلك ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي بما استأمنهم أنبياؤهم على تبليغ

التوراة، والعمل بها، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: يعني وكان الربانيون والأحبار شهداء على أن أنبياءهم قد حكموا بين اليهود بكتاب الله.

- ثم يقول تعالى لعلماء اليهود: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ في تنفيذ حُكمي؛ فإنهم لا يقدرون على نفعكم ولا ضرِّكم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ وحدي، فإني أنا الذي أملك النفع والضر، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: يعني ولا تأخذوا عِوَضًا حقيرًا مِن الدنيا مقابل ترْك الحُكم بما أنزلتُ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾: واعلم أنَّ العلماء قد اختلفوا بشأن هذه الجملة: هل هي في المسلمين، أو في اليهود (اتفاقاً مع سِياق الآية)؟

- وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: (ليس الكُفر الذي تذهبون إليه) أي إنّ المراد بالكفر فيها: (كُفر دونَ كُفر)، يعني ليس الكُفر المُخرج من المِلَّة، وقال القرطبي في تفسيره: (فأما المسلم فلا يُكَفَّر وإن ارتكب كبيرة)، طبعاً إلا إذا استحَلَّ الكبيرة، وقال: إنها حلال، فحينئذٍ تُقامُ عليه الحُجّة من عالمٍ يثق هو في عِلمه، (هذا مع الأخذ في الاعتبار دائماً أنَّ العُذر بالجهل قاعدة شرعية أصُولِيَّة، وأنه مِن صُلب هذا الدِين).

الآية ٤٥: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾: يعني وفَرَضنا عليهم في التوراة: العدل والمساواة في القِصاص، فشَرَعْنا لهم ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تُقتَل ﴿بِالنَّفْسِ﴾، ﴿وَالْعَيْنَ﴾ تُفقَأ ﴿بِالْعَيْنِ﴾، ﴿وَالْأَنْفَ﴾ يُقطَع ﴿بِالْأَنْفِ﴾، ﴿وَالْأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِالْأُذُنِ﴾، ﴿وَالسِّنَّ﴾ تُقلَعُ ﴿بِالسِّنِّ﴾، بمعنى أنه إذا قلع شخصٌ إحدى الأسنان لشخصٍ آخر (أو كَسَرها)، فإنّه يَقتص منه بقلْع سِنِّهِ (أو كَسْرها)، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: يعني وشَرَعْنا لهم أنَّه يُقْتَصُّ في الجِراحات أيضاً بالعدل والمساواة، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: أي فمن تجاوز عن حقه في الاقتصاص من المُعتدي ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: يعني فإنّ ذلك العفو يكونُ تكفيراً لبعض ذنوبه وإزالةً لها، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القِصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الآية ٤٦، والآية ٤٧: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾: يعني وأتْبَعْنا أنبياءَ بني إسرائيل ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، فكانَ عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: أي مؤمنًا بالتوراة، فلم يُنكرها ولم يَتجاهلها، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: يعني وأنزلنا إليه الإنجيل هادياً إلى الحق، ونوراً مُبَيِّنًا لِما جَهِلَهُ الناس مِن حُكم الله تعالى، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾: أي وكان الإنجيل شاهدًا على صِدق التوراة، مُقَرِّراً لأحكامها (إلا ما نسخه الله منها بالإنجيل)، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: يعني وقد جعلناه بيانًا للذين يخافون الله، ورادعاً لهم عن ارتكاب المحرَّمات، فإن أهل التقوى هم الذين ينتفعون بهذا الهدى.

• واعلم أن هذه الهداية التي ذكرها تعالى في قوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾: هي هداية خاصة للمتقين، غير الهداية التي ذُكِرَتْ في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فهذه هداية عامة لجميع الناس، ثم أخبر تعالى أنه أمرهم وقتها بالحكم بالإنجيل، فقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾ الذين أُرسِل إليهم عيسى – قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم - ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾: أي بما أنزل الله في الإنجيل من الأحكام، وأخبرهم أنَّه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الآية ٤٨: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي وأنزلنا إليك القرآن، وَكُل ما فيه حق، وجعلناه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: أي يَشهد على صِدق الكتب التي قبله، وأنها من عند الله، مُصدقًا لما فيها من صِحَّة، ومبيِّنًا لِما فيها من تحريف، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي وناسخًا لبعض شرائع هذه الكتب، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المحتكمين إليك من اليهود ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك في هذا القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾: يعني ولا تنصرف عن الحق الذي أمَرَكَ الله به إلى أهوائهم وآرائهم، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: يعني: فقد جعلنا لكل أمةٍ منكم شريعة، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: أي وجعلنا لكم طريقًا واضحًا مستنيرًا ناسخًا لما قبله، وهو الإسلام، وقد جعلنا شريعتك ناسخة لجميع الشرائع.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أي لَجَعَلكم جماعة متفقة – على دينٍ واحد – يَؤم بعضها بعضًا، ولَجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل شيئًا من الكتب ناسخًا لشيءٍ من الشرائع، ﴿وَلَكِنْ﴾ لم يَشأ سبحانه ذلك، بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة، وذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: يعني ليختبركم ويَنظر كيف تعملونَ عند ظهور هذه الشريعة الناسخة: هل ستتبعونها وتنقادون إليها بمجرد قيام البراهين على صِدقها، ونهوض الأدلة البيِّنة على صِحَّة نَسْخِها لشرائعكم، وترجعون عن شريعتكم بعد أن أحببتموها واعتدتم عليها؟، أم ستَميلون إلى شريعتكم، فتُؤثرون الركون إليها والعكوف عليها لمجرد اتِّباع الهَوَى، وتزيغون عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، تكبُّراً عن الانقياد لها (كما فعل أول المتكبرين إبليس)؟

• ولَمَّا كانَ في هذا الاختبار أعظم تهديد، قال لهم: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: أي بادِروا إلى هذه الشريعة الناسخة بغاية جهدكم، وسارعوا إلى ما هو خيرٌ لكم في الدارين (وذلك بالعمل بما في القرآن العظيم)، فـ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وسيَجزي كُلاًّ بعمله.

الآية ٤٩: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ – واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ﴾ معطوف على قوله تعالى – في الآية التي قبلها - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، فكأنّ المعنى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، فلْتَحكمْ بينهم به)، أو: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، ولِلحُكم به).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي ولا تتبع أهواء الذين يَحتكمون إليك من اليهود، (وقد كَرَّرَ تعالى النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير من ذلك)، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾: يعني واحذرهم أن يُضِلوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يعني فإن أعرض هؤلاء عن قبول ما تَحكم به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: أي فاعلم أن الله يريد أن يَصرفهم عن الهدى بسبب ذنوبٍ اكتسبوها مِن قبل، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: أي: عُصاة خارجون عن طاعة ربهم ورسله، (فهَوَّن اللهُ على رسوله بهذه الجملة ما قد يجده من ألم تمرد اليهود والمنافقين، وإعراضهم عن الحق الذي جاءهم به ودَعاهم إليه).

الآية ٥٠: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: يعني أيريد هؤلاء اليهود أن تَحْكُمَ بينهم بالضَلالات والجَهالات التي تعارَفَ عليها المشركون (عَبَدَةُ الأصنام)؟! لا يكونُ ذلك ولا يَليقُ أبدًا، ثم أخبر تعالى – نافياً أن يكون هناك حُكمٌ أعْدَل أو أرحم مِن حُكمه تعالى للمؤمنين بشرعه، الموقنين بعدله ورحمته – فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟ والجواب: لا أحد.

**********

## ٥. الربع الخامس من سورة المائدة

الآية ٥١، والآية ٥٢، والآية ٥٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾: أي حُلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان، لأنَّ اليهود ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وكذلك النصارى، وكِلا الفريقين يَجتمع على عداوتكم، وأنتم – أيها المؤمنون – أوْلَى بأن يَنصر بعضُكم بعضًا، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾: يعني ومَن يَستنصر باليهود أو النصارى ﴿مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي فإنه يصير منهم، وحُكْمه حُكْمهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يَتولون الكافرين.

• ثم يخبر تعالى عن جماعة من المنافقين، فيقول: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: أي يُسارعون في التوَدُّد إلى اليهود، لِما في قلوبهم من الشكِّ والنفاق، و ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يعني إنما نتوَدَّد إليهم خشية أن ينتصروا على المسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أي فتح "مكة"– ويَنصر نَبيَّه، ويُظْهِر الإسلام والمسلمين على الكفار، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾: يعني أو يُهيِّئ من الأمور ما تَذهب به قوةُ اليهود والنَّصارى، فيخضعوا للمسلمين، ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾: يعني فحينئذٍ يندم المنافقون على ما أخفوه في أنفسهم مِن مَحبتهم والاستنصار بهم، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني وحينئذٍ يقول المؤمنون بعضهم لبعض – مُتعجِّبين من حال المنافقين إذا كُشِف أمرهم - : ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: يعني أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لَمَعَنا؟! ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾: أي بَطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثوابَ لهم عليها؛ لأنهم عملوها على غير إيمان، فبذلك خسروا الدنيا والآخرة.

الآية ٥٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ويَستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يَضرّ الله شيئًا، وإنما يَضُرّ نفسه، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ خيرٍ من الذين ارتدوا، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي رحماء بالمؤمنين، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: يعني أشدَّاء على الكافرين، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَخَافُونَ﴾ في سبيل إرضاء الله تعالى ﴿لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق ذلك الفضل من عباده.

الآية ٥٥: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾: يعني إنما ناصركم – أيُّها المؤمنون – هو ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي يحافظون على الصلاة المفروضة في أوقاتها ويطمئنون وهم يؤدون أركانها، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: يعني ويؤدون الزكاة عن رِضا نفسٍ وهم خاضعون لله.

الآية ٥٦: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني ومَن يُحِبُّ اللهَ ورسولَه والمؤمنين ويَنصرهم على أعدائهم: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: أي فهو مِن حِزب اللهِ تعالى (أي مِن أنصارِه)، وحِزبُ الله هم الغالبون المنتصرون.

الآية ٥٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: أي الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾، فلا تتخذوا هؤلاء ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ من دون المؤمنين، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

الآية ٥٨: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: يعني وإذا أذَّنَ مؤذنكم – أيها المؤمنون – بالصلاة: ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: يعني سَخِرَ هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دَعْوَتِكم إلى الصلاة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي وذلك بسبب جهلهم، ولأنهم لا يَعقلون حقيقة تلك العبادة، ولا يعلمون قيمتها العظيمة عند الله تعالى.

الآية ٥٩: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: يعني هل تكرهوننا وتعيبون علينا بسبب إيماننا بالله ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي وبسبب إيماننا أيضاً بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم! فما تَجِدُونه عيباً علينا هو – في أصله – صفة مدح لنا عند ربنا.

الآية ٦٠: ﴿قُلْ﴾ أيها النبي للمؤمنين: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾: يعني هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين من أهل الكتاب؟ إنه ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: يعني إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغَضِب عليهم، ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير، وذلك بسبب عصيانهم وافترائهم وتكبُّرهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾: يعني: وبسبب أنه كان منهم عُبَّاد للطاغوت (وهو كل ما يَعبُدُه الناس – مِن دون اللهِ تعالى – بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً بعبادة الناس له، لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً بعبادة النصارى له)، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ في الآخرة، ﴿وَأَضَلُّ﴾ طريقاً ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي عن طريق الاستقامة.

الآية ٦١: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾: يعني: وإذا جاءكم – أيها المؤمنون – منافقوا اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بدينكم، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: يعني: وقد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا من عندكم وهم مُصِرُّون عليه، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾، وإن أظهروا خِلاف ذلك.

الآية ٦٢، والآية ٦٣: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي مِن اليهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: يعني يُبادرون إلى المعاصي (مِن قول الكذب وشهادة الزور وغير ذلك)، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أي وكذلك يسارعون إلى الظلم والاعتداء على أحكام الله، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: يعني وكذلك يبادرون إلى أكْل أموال الناس بالباطل ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: يعني: ألاَ ينهاهم أئمتهم وعلماؤهم ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾؟ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: يعني لقد ساء صنيع هؤلاء العلماء حين تركوا النهي عن المنكر.

الآية ٦٤: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ سِرًّا فيما بينهم – حين حَلَّ بهم الجفاف والقحط - : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: أي محبوسة عن فِعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي حُبِسَت أيديهم هُم عن فِعْلِ الخيرات، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾: يعني وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم، وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فلا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه سبحانه الجَواد الكريم ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وذلك بحسب ما تقتضيه حِكمته وبحسب ما فيه مصلحة عباده.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: يعني وإنَّ كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، وذلك بسبب حقدهم وحسدهم؛ لأن الله قد اصطفاك بالرسالة، ثم أخبَرَ تعالى أنّ طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يُعادي بعضهم بعضًا، ويَنفُرُ بعضهم من بعض، فقال: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: أي كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب: رَدَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بالمعاصي والكفر وغير ذلك من أنواع الفساد في الأرض، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية ٦٥: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ربهم فامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: أي لَمَحَوْنا عنهم ذنوبهم، ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

الآية ٦٦: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: يعني ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول - وهو القرآن الكريم: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: أي لَرزقناهم من كلِّ طريق، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وقد كانَ ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾: يعني جماعة معتدلة ثابتة على الحق، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

## ٦. الربع السادس من سورة المائدة

الآية ٦٧: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (وقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة)، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (لو كانَ النبي صلى الله عليه وسلم كاتمًا شيئاً من الوحي، لَكَتَمَ هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾)، ثم يقولُ تعالى مُطَمْئِناً لرسوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلا تَخَفْ من المخلوقين، فإنَّ نَوَاصيهم بيد الله، وقد تكَفَّلَ سبحانه بعِصْمتك، فأنتَ إنما عليك البلاغ المبين، فمَن اهتدَى فلنفسه، ومَن كفر فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

– ومِن لطيفِ ما يُذكَرُ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن المسلمين كانوا – قبل نزول هذه الآية – يَمشون حول رسول الله في كل مكانٍ يَنتقل إليه (خوفاً عليه من اليهود – قتلة الأنبياء)، لدرجة أنَّهم كانوا يَتناوَبُون في حراسة بيتِهِ كل ليلةٍ وهو نائم، فلما نزلتْ هذه الآية ليلاً، طلبَ الرسول صلى الله عليه وسلم مِن أصحابه الانصراف، فلمَّا سألوه عن السبب، قال لهم: (قد عَصَمَنِي الله)، يقول العَلاَّمَة "بارتملي هِيلَر" بعد إسلامه: (لَمَّا وَعَدَ اللهُ رسوله بالحِفظ بقوْلِهِ: ﴿واللهُ يَعصِمُكَ مِن الناس﴾، صَرَفَ النبيُ حُرَّاسَه، والمرءُ لا يَكذِبُ على نفسه، فلو كانَ لِهذا القرآن مَصدَرٌ غير السماء: لأَبْقى محمدٌ على حِراسَتِه).

الآية ٦٨: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول لليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ إنكم ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِن الدين الحق، ولستم أهل نُصرة الله تعالى ومحبته ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: يعني حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: يعني وإنّ كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، فهم يحسدونك لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بَيَّن فيها معايبهم، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: أي فلا تحزن أيها الرسول ﴿عَلَى﴾ تكذيب ﴿الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية ٦٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (وهم المسلمون)، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ (وهم اليهود)، - ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ كذلك – (وهم قومٌ باقون على فِطرتهم (يعني: على التوحيد)، ولا دين مُقرَّر لهم يتبعونه)، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ (وهم أتْباع المسيح عليه السلام)، هؤلاء جميعًا ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ﴾ إيماناً كاملاً، وذلك بتوحيد الله تعالى والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من أهوال يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

الآية ٧٠، والآية ٧١: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: يعني لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: أي وأرسلنا إليهم رسلنا لِيُذكِّروهم بذلك العهد، فَنَقَضوا هذا العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ من أولئك الرسل ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾: أي بما لا تشتهيه أنفسهم عادَوْه، فـ ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: يعني فكذبوا فريقًا من هؤلاء الرسل، وقتلوا فريقًا آخر، ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: يعني وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب والشدائد والمِحن بسبب عصيانهم وكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾: أي فمضوا في شهواتهم، وعَمُوا أعينهم عن الهدى فلم يُبصروه، وصَمُّوا آذانهم عن سماع الحقِّ فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، وسلَّطَ عليهم مَن أذاقهم سوء العذاب، فتابوا ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: يعني قَبِلَ توبتهم، فاستقام أمرهم وصلحتْ أحوالهم.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: يعني ثم عَمِي كثيرٌ منهم مرة أخرى عن الهدى، وصَمُّوا عن سماع المواعظ، وذلك بعد أن تبين لهم الحقُّ، فسلَّطَ الله عليهم مَن أذاقهم سوء العذاب أيضاً، وهاهم ما زالوا في عَماهم وصَمَمِهم، فلم يؤمنوا بالنبي محمد بعد أن عرفوا أنه النبي الخاتم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وسيجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة.

الآية ٧٢: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم مُتساوين في العبودية لله تعالى، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: يعني إنه مَن يَعبد مع الله غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ – إلا أن يتوب من الشرك قبل موته –، ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾: أي وجَعَلَ النارَ مُستقَرَّه، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يُنقذُونهم من هذه النار.

الآية ٧٣: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (فهو سبحانه واحدٌ في ذاتِه، لم يلد ولم يولد، ليس له شريك، وليس كمثله شيء، وجبريل هو أحد ملائكته، وعيسى هو عبده ورسوله، ومريم هي أَمَتُه، فالكُلُّ عبيده، وخاضعون لِقَهْرِهِ وسُلطانه)، ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني وإن لم يَنتَهِ أصحاب هذه المَقالة عن افترائهم وكَذبهم: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في نار جهنم.

الآية ٧٤: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾: يعني أفلا يَرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، وينتهون عمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم حيث أمهلهم للتوبة.

الآية ٧٥: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي مِثل مَن تقدمه مِن الرسل، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: يعني قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملا، وهما كغيرهما من البشر، فقد ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾: يعني كانا يحتاجان إلى الطعام، ولا يكونُ إلهًا مَن يحتاج الى الطعام ليعيش، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾: يعني فتأمَّل أيها الرسول حالهم، فقد أوضحنا لهم العلاماتِ الدالةَ على وحدانيتنا، وبُطلان ما يَدَّعونه في أنبياء الله، وهم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يعني ثم انظر كيف يُصرَفون عن الحق بعد أن ظهر واضحاً!

الآية ٧٦: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: يعني كيف تشركون مع الله مَن لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفعٍ لكم؟ فلا هم يسمعون دعاء مَن يدعوهم، ولا يعلمون عن حاله شيئاً، ﴿وَاللَّهُ﴾ وحده ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده ولدعائهم إياه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بسائر أحوالهم وأعمالهم، مُجيب المُضطر إذا دعاه، فهو سبحانه المعبود بحق، وما سواه باطل.

الآية ٧٧، والآية ٧٨، والآية ٧٩: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول للنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: يعني لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح عليه السلام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾: يعني ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس، ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: أي وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الضلال.

• ثم يُخبر تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل، وهذا مذكورٌ في الكتاب الذي أنزله على داوود عليه السلام (وهو الزَّبور)، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى عليه السلام (وهو الإنجيل)، فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: أي وذلك اللعن كان بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله، فقد ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: يعني كانوا يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ مُنكَرٍ فعلوه، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، لأنهم قد استحقوا بذلك الفعل أن يُطْرَدُوا من رحمة الله تعالى، (وفي هذا تحذيرٌ لكل مَن يفعل مِثل فِعلهم حتى لا يَلقى مصيرهم).

الآية ٨٠، والآية ٨١: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي مِن هؤلاء اليهود ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني يتخذون المشركين نصراء لهم، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: يعني ساء ما عملوه مِن مُناصرة المشركين، لأنّ مناصرتهم لهم كانت سببًا في ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالنَّبِيِّ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ وهو القرآن الكريم: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: أي ما اتخذوا الكفار أنصارًا وأحباءً، ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي خارجون عن طاعة الله ورسوله.

**********

## ٧. الربع السابع من سورة المائدة

الآية ٨٢، والآية ٨٣، والآية ٨٤: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ﴾ وذلك لِعنادهم، وتكَبُّرِهِم من بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع الله غيره، كَعَبدة الأوثان وغيرهم، هم أيضاً أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك واتبعوك، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: أي علماء بدينهم زاهدين، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: أي عُبَّادًا في صوامعهم، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يعني ولأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قَبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ - والمقصود بهم وفد الحبشة (النَجاشي وأصحابه) لَمَّا سمعوا القرآن - : ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: يعني وذلك البكاء لأنهم أيقنوا بأن هذا القرآنَ حقٌّ من عند الله تعالى، فآمَنوا به واتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم.

• وهم يتضرعون إلى الله تعالى أن يحشرهم مع أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، فـ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الذين يشهدون على باقي الأمم يوم القيامة، وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾: يعني وأيُّ لوم علينا في أن نؤمن ﴿بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ في جنته يوم القيامة؟

الآية ٨٥: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: أي فجَزاهم الله بما قالوا – من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين - : ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾: يعني وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

الآية ٨٦: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني وأما الذين جحدوا وحدانية الله تعالى، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الآية ٨٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتُضَيِّقوا بذلك ما وَسَّع اللهُ عليكم، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: أي ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

الآية ٨٨: ﴿وَكُلُوا﴾ – أيها المؤمنون – ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: أي واتقوا اللهَ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ فإنَّ إيمانكم بالله يُوجِبُ عليكم تقواه.

الآية ٨٩: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: أي لا يعاقبكم الله بسبب أيمانكُم التي تحلفونها بغير قصد، وذلك بأنْ تذكروا لفظ الجَلالة بصيغةِ القَسَم (وَاللهِ)، ولكنْ – ليسَ في نِيَّتِكم - عَقد اليَمين، مِثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله (وليس في نيتكم الحلف)، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: يعني ولكنْ يعاقبكم بسبب ما قصدتم عَقْدَهُ بقلوبكم من الأيمان ولم تَفُوا به، فإذا لم تَفُوا باليمين، فإثْمُ ذلك يمحوه الله بما شرعه لكم من الكفارة، وهي: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ - وَجبة مُشبعة - ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: أي مِن أوْسَطِ طعام بَيتِكم، أو من أوسط طعام أهل البلد، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: يعني أو أن تكسوا هؤلاء المساكين بحيث يُعطَى كل مسكين ما يَكفيه في الكِسوة عُرفًا، (سواء كانَ الكِساء قديماً أو جديداً، المُهمّ أن يكون يَصلح – لهم – للارتداء)، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: يعني أو أن تعتقوا عبداً أو جارية من الأسر، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: أي فمَن لم يستطعْ إطعامَ المساكين أو كِسوَتهم – بسبب فقرهِ مثلاً –، وكذلك لم يَجدْ عبداً يعتقه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: أي تلك مُكَفِّرات عدم الوفاء بأيمانكم، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وذلك باجتناب الحلف، أو بالوفاء به إذا حلفتم، أو بالكفارة إذا لم تفوا بالحلف، ﴿كَذَلِكَ﴾: يعني وكما بيَّن الله لكم حُكم الأيْمان والتحلل منها: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي أحكام دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على هدايته لكم إلى الطريق المستقيم.

الآية ٩٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ وهو كل مُسكِرٍ غَطَّى العقلَ وأذهَبَهُ (مشروبًا كانَ أو مَأكولاً، أو تَمَّ إدخالهُ للجسَد بأي وَسِيلة)، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ وهو القمار (وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عِوَض من الجانبين)، ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ وهي الأصنام والأحجار المنصوبة، التي تمثل إلهاً أو غير ذلك مما يُعبَد من دون الله تعالى، والتي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ وهي القِداح التي كانَ يستخدمها الكفار ليَطلبوا معرفة ما يُقسَم لهم قبل الإقدام على فِعل الشيء، وقد تقدم تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ في تفسير الربع الأول من سورة المائدة، فراجِعْه إن شئت.

• إنَّ كل ما سبق هو ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: أي إثْمٌ مِن تزيين الشيطان لكم، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: يعني لعلكم تفوزون بالجنة.

الآية ٩١: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ بما يُزينه لكم من الآثام ﴿أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: أي بسبب شُرب الخمر ولَعِب القمار، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾: يعني ويريد أن يَصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة (بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر)، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾: أي فانتهوا عن ذلك.

الآية ٩٢: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿وَاحْذَرُوا﴾ المعصية وسوء عاقبتها، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي فإن أعرضتم عن الامتثال للأوامر والنواهي: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي فاعلموا أن الرسول لن يضره إعراضكم، إذ ما عليه إلا البلاغ المبين وقد بَلّغ، وما تضرون بذلك الإعراض إلا أنفسكم.

الآية ٩٣: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾: أي ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثمٌ في ذلك، هذا ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يعني إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾: يعني ثم ازدادوا مراقبةً لله عز وجل وإيماناً به، حتى أصبحوا – مِن يقينهم – يعبدونه وكأنهم يرونه، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين بلغوا درجة الإحسان، فأصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهَدة.

الآية ٩٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: أي لَيختبرنَّكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ يقترب منكم على غير المعتاد بحيثُ ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: يعني تستطيعون صَيد صغاره بغير سلاح، وصَيد كباره بالسلاح، وذلك الاختبار ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلمًا ظاهرًا للخلق ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ لِتَيقنه بأن الله تعالى يراه، فيُمسك عن الصيد وهو مُحْرِم، لأنه يخاف أن يراه الله على معصية، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يعني فمن تجاوز الحَدَّ بعد هذا البيان، فأقدَمَ على الصيد – وهو مُحْرِم – فإنه يستحق العذاب الشديد.

الآية ٩٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾: أي لا تقتلوا صيد البر، وأنتم مُحرمون بحجٍ أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: يعني فجزاءُ هذا المُحرم – الذي صادَ حيواناً ما – أن يَذبح حيواناً من الأنعام (أي من الإبل أو البقر أو الغنم) مقابل الذي صاده، بحيثُ يُشبهُ الحيوان الذي صادَهُ في الصورة والخِلقة، وذلك بعد أن ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: يعني وذلك بعد أن يُقدِّر ذلك الصيد – بما يشبهه من الأنعام – اثنان مِن ذَوِي العَدْل (أي مَشهود لهما بالعدل)، واعلم أنّ ما حَكَمَ فيه الصحابة والتابعون في جزاء الصيد وما يشبهه من الأنعام: وَجَبَ الرجوع إليه، لأنهم مِن ذَوي العدل، فوجَبَ الرجوع إلى حُكْمهم.

– وإليكَ الآن بيانٌ لبعض ما حَكَم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم في الحيوانات البرية وما يشبهها من الأنعام:

المُشابه للنعامة في الأنعام: البَدَنَة (يعني الجمل سواء كانَ ذكَراً أو أنثي)، وفي حِمار الوحش وثور الوحش وشاة الوحش (وتسمي الأروية): البقرة، وفي الغزال والظبْي والوَعْل (وهو التيس الجبلي): العَنزة (وهي أنثى الجدْي)، وفي الضَبّ واليَربُوع والأرنب: الجدْي.

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾: يعني يَهدي هذا الحيوان – المُشابه للصيد من الأنعام – إلى الحرم بحيث يذبحه في الحرم ويوزعه على فقراء الحرم، ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾: يعني أو أن يشتري بقيمة هذا الحيوان: طعامًا يهديه لفقراء الحرم، بحيث يُعطي لكل مسكين منهم وجبة مشبعة، وقد اختلف العلماء في عدد المساكين الذين يجب إطعامهم، هذا، وقد رأى بعض أهل العلم أن يُقَدِّر ثمن هذا الصيد – الذي صاده – بالمال، ويشتري بثمنه طعاماً، ثم يُطعِم كل مسكين مقدار صَاع مِن هذا الطعام، (والصَاع هو ما يُقَدّر بـــ ٢,٥ كيلو جرام تقريباً).

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾: يعني أو يصوم عدداً من الأيام بعدد الناس الذين يُشبعُهُم هذا الصيد الذي صاده، وقد فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: يعني ليشعر بعاقبة فِعْله، وثِقَل جزاء ذنبه ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: أي عفا الله عَمَّن وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم: ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾: أي فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: أي والله تعالى قاهِرٌ لِكُلِ شيءٍ، صاحبُ السُلطان العظيم، الذي خضعتْ له جميعُ الأشياء، ومِن عزته سبحانه أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

• واعلم أنّ قاتِل الصيد مُخَيَّرٌ بين واحدٍ من ثلاثة: (ذبح الهَدْي أو إطعام المساكين أو الصيام)؛ هذا إذا كانَ للصيد (مِثل) أو مُشابه مِن الأنعام، وأما إذا لم يكن له (مِثل) فهو مُخَيَّرٌ بين الإطعام والصيام.

الآية ٩٦: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها المسلمون في حال إحرامكم: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وهو ما يُصادُ حيًّا من البحر، ﴿وَطَعَامُهُ﴾ وهو ما يخرج من البحر ميتاً فإنه حلالٌ لكم أيضاً وأنتم محرمون، وذلك ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: يعني وذلك من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

**********

## ٨. الربع الأخير من سورة المائدة

الآية ٩٧: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: أي جَعَله صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم، فبالحَجِّ إليه يكتمل إسلامهم، وبه تُحَطُّ أوزارهم، وتتضاعف حسناتهم، ويجتمع فيه جميع أجناس المسلمين من كل فجٍ عميق، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، وتنعقد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: يعني وحَرَّم تعالى العدوان والقتال في الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، ﴿وَالْهَدْيَ﴾: أي وحرَّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحَرَم من بهيمة الأنعام، ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾: يعني وحرَّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ضفائر من صوف أو وَبَر، كانوا يضعونها في رقاب الهَدي لتكون علامةً على أن الرجل آتٍ من الحرم أو ذاهبٌ إليه، فهذه الأربعة: (البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد) كانت تقوم مقام السلطان بين العرب، فتحقق بذلك الأمن والرخاء في ديارهم (وخاصة سكان الحرم من قبائل قريش)، فهذا من تدبير الله تعالى لعباده، وهو دليلٌ على عِلمه وحكمته، ولهذا قال بعدها: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ومِن ذلك ما شَرَعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا تخفى عليه خافية.

الآية ٩٨، والآية ٩٩: ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمن عصاه ولم يتب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب ورجع إليه، واعلموا أنَّ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وقد بَلَّغَ كما أُمِر وقام بوظيفته، وبقِيَ الأمر إليكم: فإن رجعتم إلى ربكم وأطعتموه فإنه يغفر لكم ويرحمكم، وإن أعرضتم وعصيتم فإنه يعاقبكم.

• وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، فيه وعدٌ ووعيد، لأنَّ عِلمه تعالى بالظواهر والبواطن يترتب عليه الجزاء، أي إنه تعالى سيُجازيكم بما يعلمه منكم.

الآية ١٠٠: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾: أي لا يتساوي ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، فالكافر لا يتساوي مع المؤمن، والعاصي لا يتساوي مع المطيع، والجاهل لا يتساوي مع العالم، والمُبتدِع لا يتساوي مع المُتَّبِع، والمال الحرام لا يتساوي مع الحلال، حتى ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ وعدد أهله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الخبائث، وفِعل الطيبات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالحصول على هدفكم الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

الآية ١٠١، والآية ١٠٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ مِن أمور الدين لم تؤمَروا فيها بشيء، كالسؤال عن الأمور التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، وغير ذلك، ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾:

أي ولو كُلِّفتموها لَشقَّتْ عليكم، ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾: يعني وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه: تُبيَّن لكم، وقد تُكلَّفوها فتعجزون عنها، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: أي سكت الله عنها (وكل ما سَكَتَ الله عنه فهو مما أباحه وعفا عنه)، وكذلك عفا الله عنكم فلم يؤاخذكم بما سألتم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لعباده إذا تابوا، ﴿حَلِيمٌ﴾ عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة

• واعلم أن سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا)، فقال رجل: (أفِي كل عامٍ يا رسول الله؟)، فسكت، حتى قالها الرجل ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا، ولو قلتُ نعم: لَوَجَبَتْ، ولو وَجَبَتْ: لما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتُكم) فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

• ثم يُخبر تعالى عباده المؤمنين بأنَّ مِثل تلك الأسئلة ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لرسلِهم، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: يعني فلما أُمِروا بها جحدوها، ولم يُنفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

الآية ١٠٣: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾: يعني ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجَعْلها للأصنام، مثل: (البَحيرة: وهي الناقة إذا ولدتْ خمسة صغار (وكان الخامس ذكراً)، فيَشُقون أذنها ثم يُحَرِّمون ركوبها، والسائبة: وهي الناقة التي تُترَك وتُنذَر للأصنام، فلا تُركَب ولا يُحمَل عليها ولا تؤكَل، والوصيلة: وهي الناقة التي تكونُ أوّل ولادتها أنثى، أو التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، فلا يذبحونها، والحامي: وهو الذكر من الإبل إذا وُلد مِن صُلبه عددٌ من الإبل، فيَمنعون ظهره من الركوب والحَمل).

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يعني ولكنّ الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراءً عليه، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي لا يُميزون الحق من الباطل.

الآية ١٠٤: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ – أي لهؤلاء الكفار المُحرِّمين لِمَا أحلَّ الله –: ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ لِيَتبيَّنَ لكم الحلال والحرام، ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي يَكفينا ما ورثناه عن آبائنا مِن الأقوال والأعمال، ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يعني أيَتَّبعون آباءهم حتى ولو كانوا لا يَعلمون شيئًا لِجَهْلِهم، ولا يُدركون رشدًا؟! فإنه لا يَتَّبعهم إلا مَن هو أجْهَلُ منهم وأضَلُّ سبيلاً.

الآية ١٠٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: يعني ألزِموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوِموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فـ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا

﴿اهْتَدَيْتُمْ﴾: أي لا يَضركم مَن أصرَّ على ضلاله بعد أن أمرتموه بالمعروف، ونهيتموه عن المنكر، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ويجازيكم على أعمالكم.

الآية ١٠٦، والآية ١٠٧، والآية ١٠٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ...﴾ اختلف العلماء في هذه الآية: هل هي منسوخة أم لا، لذلك لم أشأ أن أخوضَ في تفسيرها، ولا في تفسير الآيتين اللتين بعدها، لأنهما مرتبطتان بها.

الآية ١٠٩: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: أي فيسألهم عن جواب أُمَمِهم لهم حينما دَعَوْهم إلى التوحيد، ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدَثوا بَعدَنا، و ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

الآية ١١٠: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يوم القيامة: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ إذ خَلقتُكَ من غير أب، ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ حيث اصطفيتُها على نساء العالمين، وبرَّأتُها مما نُسبَ إليها، واذكُر ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي قوَّيْتُكَ وأعَنْتُكَ بجبريل عليه السلام، فكنتَ ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ يعني وأنت رضيع، ﴿وَكَهْلًا﴾ أي وتدعوهم إلى الله وأنت كبير، بما أوحاه الله إليك من التوحيد، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ أي الكتابة والخط بدون مُعلم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: وعلَّمْتُكَ سُنَن الأنبياء، والفِقه، والسَّداد في القول والفعل ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ أي تصنع وتُصوِّر ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ أي مِثل شَكل ﴿الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ أي وتَشْفِي الأعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ (والأبْرَص هو الذي أصابه مَرَضُ البَرَص فتغيَّر لونُ جلدِه)، ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياءاً ﴿بِإِذْنِي﴾.

- ثم ذكَّرَهُ تعالى بنعمةٍ أخرى فقال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾: أي واذكُر حينَ مَنَعْتُ بني إسرائيل عنك عندما أرادوا قتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي حين جئتَهم بهذه المعجزات الواضحات، الدالَّة على نُبُوَّتك، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

الآية ١١١: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾: أي واذكُر نعمتي عليك، إذ ألْهَمْتُ جماعةً مِن أصحابك المخلصين، وألقيتُ في قلوبهم أن يُصدِّقوا بوحدانيتي وبنُبُوَّتك، فـ ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: وَاشْهَدْ يا عيسى بِأَنَّنَا خاضعونَ لله تعالى بالتوحيد والطاعة.

الآية ١١٢، والآية ١١٣: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ إنْ دَعَوْتَهُ ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ عليها طعامٌ؟ ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (فهذا أمْرٌ لهم بمُلازَمَة

التقوى وعدم تَزَلْزُل الإيمان)، فـ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين فيها، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي ولِنَعلم يَقِيناً صِدْقك في نُبُوَّتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أنَّ الله أنزل علينا هذه الآية، لِتكون حُجَّةً له في توحيده وقدرته على ما يشاء.

الآية ١١٤: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي نتخذ يوم نزولها عيدًا لنا نتذكر فيه هذه الآية العظيمة، فنَذكُرك فيه ربنا ونشكرك، ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي لأول أمّة النصرانية وآخرها (وهم الذين خُتِمَتْ بهم النصرانية عند البعثة المحمدية)، ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ لهم على وحدانيتك وعلى صِدق نُبُوَّتي، ﴿وَارْزُقْنَا﴾: أي واجعلها رزقاً لنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

الآية ١١٥: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ أي مُنَزِّل مائدة الطعام ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾: أي فمَن يَجحد منكم وحدانيتي ونُبُوَّة عيسى بعد نزول المائدة: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ شديدًا ﴿لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية ١١٦، والآية ١١٧: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: يعني ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق، ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ لأنه لا يَخفى عليك شيء، فإنك سبحانك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: أي إنك أنت عالِمٌ بكل شيء مِمَّا ظَهَر أو خَفِي.

• ثم قال عيسى عليه السلام: يا ربِّ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾: يعني ما قلتُ لهم إلا ما أوْحَيتَهُ إليَّ، وأمرتني بتبليغه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾: أي وكنتُ على ما يفعلونه – وأنا بينهم – شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: يعني فلما وَفَّيْتَني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حيًّا: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: أي كنتَ أنت المُطَّلِع على سرائرهم، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فلا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

الآية ١١٨: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعَدْلِك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ برحمتك لِمَن أتى منهم بأسباب المغفرة كالاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمنعه مانع مما أراد، فلا تمنعه الذنوب من المغفرة لعباده التائبين، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره وأمره، (وفي هذه الآية ثناءٌ على الله تعالى بحكمته وعدله، وكمال علمه).

الآية ١١٩: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿هَذَا يَوْمُ﴾ الجزاء الذي ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: أي ينفع الموحدين توحيدهم، وانقيادهم لشرع ربهم، وصِدقهم في نِيَّاتهم وأقوالهم وأعمالهم

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي تجري من تحت قصورها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فقبل حسناتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من جَزيل ثوابه ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء والرضا منه عليهم هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

الآية ١٢٠: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ خَلقاً وتصَرُّفاً وتدبيراً وإحاطة، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

**********

## المحتويات

(تفسير سورة المائدة بأسلوب بسيط جداً) ..... ٢
١. الربع الأول من سورة المائدة ..... ٢
٢. الربع الثاني من سورة المائدة ..... ٩
٣. الربع الثالث من سورة المائدة ..... ١٣
٤. الربع الرابع من سورة المائدة ..... ١٧
٥. الربع الخامس من سورة المائدة ..... ٢١
٦. الربع السادس من سورة المائدة ..... ٢٤
٧. الربع السابع من سورة المائدة ..... ٢٨
٨. الربع الأخير من سورة المائدة ..... ٣٢